عُلُوُّ

بني إسرائيل

وَوَعدُ الآخرة



((أبو محمّد النّاصر))

قِراءةٌ قُرآنية

في

سورة الإسراء

من الآية الأولى حتى الثامنة

مُلَخَّص:

بعد قراءة مُتعَمِّقة ومتأنِّية لفواتح سورة الإسراء، تَظهَرُ الأدِلَّةُ الدّامغة أننا نعيشُ الآن مرحلة الفساد الأول لبني إسرائيل المعاصرين، وقد بدأ البعث الرباني الموعود لعباد الله أولي البأس الشديد، وَجَوسِهم خلال ديار بني إسرائيل، ونترَقَّبُ قريبًا الفَتحَ الأول للمسجد الأقصى. ثم بعد ذلك سيكون هناك عُلُوٌّ إسرائيلي ثانٍ، يُتبع بوعد الآخرة والفتح النهائي للمسجد والقضاء الكامل على الفساد الثاني.

هذا ما تؤكده الآيات الكريمة في بداية سورة الإسراء بدقة ووضوح تام، كما أنها تنفي الكثير من التفسيرات الخاطئة التي ذهب إليها كثير من المفسّرين، مثل انقضاء العُلُوِّ الإسرائيلي في الأزمنة الغابرة، لتُبيّن للأمة واقعها ومسؤوليتها التاريخية في هذه المرحلة الحاسِمة من عُمُر البشرية.

مُوجَز الكِتاب

يتناول هذا الكتاب تفسيرًا تأمليًا دقيقًا للآيات (1-8) من سورة الإسراء، ويسلط الضوء على وعدين إلهيين مرتبطين بفساد بني إسرائيل وعُلُوِّهم في الأرض. ويمكن تلخيص النقاط الرئيسيَّة التي خلص لها هذا التفسير كما يلي:

- المسجد الأقصى مركز الصراع
- فسادان وعلوّان لبني إسرائيل
- الرَّدُّ الإلهي الأول (البعث الأول والجوس)
- الفتح الأول المرتقب للمسجد الأقصى
- الكرّة لبني إسرائيل والعلو الثاني
- وعد الآخرة – التتبير النهائي
- الأُمَّةُ الإسلامية شاهِدَةٌ على الأُمَم
- ارتباط العُلُوَّينِ وإسقاطِهِما بفئتين محددتين

قائمة المحتويات

1 الافتتاحية

2 تمهيد قرآني: بداية المشهد من الإسراء

3 البركة حول المسجد الأقصى

4 موسى عليه السلام والوصية العظمى

5 ألا تتخذوا من دوني وكيلا

6 التحول من السُلالة إلى المنهج: (ذرية من حملنا مع نوح)

7 الإفساد الأول والبعث الرباني

8 جولة الانتصار الأولى... وجوس العباد

قائمة المحتويات

9 الكَرّة لبني إسرائيل... والعودة الكبرى لعباد الله

10 المسجد الأقصى في قلب العُلُوِّ والنهاية

11 ماذا تؤكد هذه الآيات؟

12 ماذا تنفي هذه الآيات؟

13 لماذا هذا الموضوع؟

14 غزّة... البأس الذي خالف الموازين

15 طوفان الأقصى... تجلٍ للبعث القرآني

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢]

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد ٢٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي
بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (1) وَءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا (2) ذُرِّيَّةَ مَنۡ
حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا (3) وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ
لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا (4) فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا
عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا (5)
ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا (6) إِنۡ
أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ
وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا (7)
عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا (8)

في زمن تتسارع فيه الأحداث، وتتداخل فيه الحقائق بالتحليلات، يبقى القرآن الكريم النور الهادي، والمصدر الثابت الذي لا تتغير فيه سنن التاريخ ولا تتبدل فيه معالم الحق والباطل. ومن بين سُوره المباركة، تتألق سورة الإسراء كلوحة ربانية ترسم معالم الصراع الأبدي بين طغيان بني إسرائيل وبأس عباد الله، وتضع القدس الشريف، المسجد الأقصى المبارك، في قلب هذا السجال العظيم.

إنها آيات قليلة في عددها، عظيمة في مدلولها، تفتح للعقل أبواب الفهم، وللقلب أبواب الثبات، وللأمة الإسلامية خارطة الطريق، في زمن تشتد فيه الغربة وتلتبس فيه المواقف.

في هذا البحث والتدبر القرآني، نغوص في معاني تلك الآيات من سورة الإسراء (1–8)، نستجلي أبعادها، ونكشف عن الملامح التي رُسمت فيها مصائر الأمم، ومفاتيح النصر والهزيمة، عبر تسلسل قصصي يعيد ترتيب الوعي، ويوقظ فينا الحنين إلى وعد الله المفعول.

تمهيدٌ قُرآني:

بِداية المَشهَد.. من الإسراء!

في ليلةٍ من ليالي التاريخ الخالدة، تفاجأ الكون بحدث غير مسبوق، لم تُمهَّد له مقدمات، ولم تُنذر به إشارات. مشهد مهيب... عَبدٌ واحِدٌ في جوف الليل، ينتقل من مكة إلى بيت المقدس ويعود، لا بحيلة ولا وسيلة بشرية، بل بقدرة إلهية خارقة، فكل شيء حول المسجد الأقصى مبارك، ومن هنا تبدأ القصة.

إنه مشهد كوني لا يتكرر، وحدثٍ عظيم لا يوصَف إلا بالتسبيح: ﴿سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى الَّذي بارَكنا حَولَهُ﴾

هذه الآية صرخة تعظيم، وافتتاح لمشهد خارق لا يُصدقه إلا من آمن أن الله على كل شيء قدير.

لماذا هذا المشهد؟ ولماذا هذه الرحلة؟

لأن في المسجد الأقصى مُفترق طُرُقٍ بين الحق والباطل. منه يبدأ تسلسل النبوءة... ومنه يُرسم مشهد الصراع... حولَه البركة، ويستهدفُهُ الطُّغيان، ويذودُ عنهُ عبادُ الله الذين اختارَهُم وَوَصَفهُم بالبأس الشَّديد!

وعليه يتنازع المؤمنون والمُفسِدون، في أشرف معركةٍ عرفتها البشرية. فما بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، خطٌّ رباني يُرسَم، يربط الأرض بالسماء، والرسالة بالتكليف، ويربط العبودية بالبأس الشديد.

ومن هنا تبدأ القصة...

من قدسية المكان، إلى فصول الصراع، إلى وعد الآخرة.

البركة..

حول المسجد الأقصى

ثم تأمّل هذا التعبير الرباني الدقيق: ﴿الَّذي بارَكنا حَولَهُ﴾. لم يقل سبحانه: "الذي باركناه"، بل قال: "باركنا حوله". وهنا تتجلّى روعة البيان القرآني، فموضع البركة لا يقتصر على المسجد الأقصى وحده، بل يمتد ليشمل ما حوله. ولكن، ما حدود هذا "الحول"؟ وهل هو دائري شامل أم نسبي جزئي؟

الآية تُطلِق الوَصف دون تحديد... "حولَه". وهذا الإطلاق، من ربٍّ حكيم خبير كريم، يَدُلُّ على أن البركة تشمل كل الجهات المحيطة بالمسجد الأقصى، لا من جهة جغرافية واحدة، ولا في زمان دون زمان، بل بركة ممتدة من كل الجهات وفي كل العصور. وهنا تكمن عَظَمَة هذه الإشارة؛ فالبركة هنا ليست محصورة في بُعد ماديّ، بل هي بركة ربانية متعددة الأبعاد:

- بركة في الدين: فحول المسجد الأقصى قامت النبوات وتوالت الرسالات، بدءًا من إبراهيم عليه السلام، ومرورًا بموسى، وهارون، وسليمان، وداود، وزكريا، وعيسى، ويحيى، وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل.
- وبركة في التاريخ: إذ إن أرض فلسطين كانت دومًا مسرحًا لصراعات الحق والباطل، ومسرحًا لانبعاثات كبرى في مصير الإنسانية.
- وبركة في المعنى: فكل من تعلَّق بهذه الأرض، ونصرها، وساهم في إعلاء كلمة الله فيها، نال من بركتها الروحية والربانية ولو كان في آخر الأرض.

ومن دلائل الإعجاز أن الله لم يُحدد مساحة هذه البركة، فالإطلاق في قوله "باركنا حوله" هو دعوة للتدبر، وكأن الآية تقول: كل ما يحيط بالأقصى، من مكان وزمان وحدث، هو أرض للبركة، وموضع نظر، ومركز للسنن الإلهية الكبرى. ولأن البركة هنا ليست صفة نابعة من الأرض، بل هي "بركة من الله تعالى"، فهي أرفع من أن تُحدّ بجغرافيا أو تُقاس بأمتار. إنها بركة الإرث الإيماني، وبركة التوحيد، وبركة الموقع الذي كان يومًا قبلة المسلمين، والذي لا يزال نقطة الصراع الكبرى بين الحق والباطل حتى تقوم الساعة. إنه "حول الأقصى" حيث تتحرك السنن، وتُحسم المعارك، وتُختبر الأمة.

موسى عليه السلام

والوصية العظمى

وما إن تُختتم الآية الأولى بذلك المشهد الخارق لإسراء النبي ﷺ، حتى ينتقل بنا السياق القرآني مباشرة، وبدون تمهيد، إلى ذكر نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَآتَينا موسى الكِتابَ وَجَعَلناهُ هُدًى لِبَني إِسرائيلَ﴾. وكأن الله سبحانه، بعد أن أشار إلى بيت المقدس ومكانته، أراد أن يُعيد إلى الأذهان جذور هذه البقعة المباركة في تاريخ الرسالات، وأن يُبيّن كيف كانت لبني إسرائيل فيها صلة قديمة، تبدأ من رسالة موسى عليه السلام التي كان تتويجها بعد أن أنجاهم الله من طغيان فرعون وجنده هو الدخول ببني إسرائيل إلى بيت المقدس، وقد منعهم الله هذا الدخول بفعل فسادهم وعصيانهم لموسى عليه السلام. لكن يقف المتدبر هنا أمام سؤال مهم:

ما هو هذا "الكتاب" الذي آتاه الله لموسى؟ أهو التوراة كاملة؟ أم هو نص خاص ضمنها، متعلق بمصير بني إسرائيل المستقبلي؟

في ظاهر المعنى، يُفهم أنه التوراة، الكتاب المنزل على موسى عليه السلام. لكن بالنظر إلى السياق الخاص في سورة الإسراء، والتفاصيل الدقيقة التي ترد بعدها، فإننا أمام احتمالٍ موازٍ لا يقل وجاهة: أن يكون المقصود هنا كتابًا معينًا ضمن التوراة، أو وحيًا خاصًا، أو حتى جزءًا من الكتاب الإلهي أُودع فيه تحذيرٌ واضحٌ بشأن مصير بني إسرائيل وعلوّهم وفسادهم وما سيؤول إليه حالهم.

إن هذه القراءة تتقوّى بالنظر إلى طبيعة الخطاب بعدها، حيث يُذكر مباشرة: ﴿وَقَضَينا إِلى بَني إِسرائيلَ فِي الكِتابِ﴾ فهنا يظهر أن قضاءً إلهيًا خاصًا ببني إسرائيل قد كُتب عليهم في "الكتاب"، وهذا الكتاب إمّا أن يكون التوراة كلها، أو وحيًا خاصًا مرتبطًا بمآلهم. وفي كلتا الحالتين، فإننا أمام نص إلهي محكم، ليس اجتهادًا بشريًا، ولا تنبؤًا تاريخيًا، بل وعد رباني وبيان غيبي لم يُعرف في زمنهم، وإنما كُشف لنا في هذا القرآن الخاتم.

إن هذا الاحتمال الثاني – أن يكون المقصود جزءًا محددًا من الكتاب – يُفسّر لنا لماذا جاء الخطاب بعده وكأنه يُخبرنا نحن، أمة محمد ﷺ، بما غُيّب أو أُهمل أو حُرّف من قبل بني إسرائيل. وكأن الله سبحانه يستدرك على تاريخهم ويعيد كشفه للأمة الخاتمة، لئلا تضيع الحقائق بين سطور المحرّفين.

وهكذا، فإن ذِكرَ موسى هُنا ليس لمجرد الربط التاريخي، بل هو تمهيد للسياق الكامل لسجال بني إسرائيل مع الحق، والعلو والفساد، من أول نبي أُرسل إليهم بكتاب، إلى آخر مواجهة يخوضونها مع عباد الله أولي البأس الشديد. وكيف كانوا في زمانهم هم أُمَّةَ الحق رُغم معاصِيهم، وكيف أصبحوا، هُم أنفُسُهُم، أُمَّةَ العُلُوِّ والإفساد العظيم في نهاية الزمان.. عند اقتراب وعد الآخرة.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دوني وَكيلًا﴾

✦ الوصية الجوهرية ✦

في سياق الحديث عن بني إسرائيل، جاءت هذه الوصية الربانية البالغة الدقة: ﴿وَآتَينا موسى الكِتابَ وَجَعَلناهُ هُدًى لِبَني إِسرائيلَ أَلّا تَتَّخِذوا مِن دوني وَكيلًا﴾. ليست هذه الوصية جملة اعتراضية أو توجيهًا عابِرًا، بل هي جوهر العهد الذي بين الله وبني إسرائيل، ولُبُّ الهُدى الذي تضمّنه الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام. إنها وصية واحدة ظاهرُها بسيط، لكن باطنَها يشمل أصلَ العقيدة، وركنَ العبودية، وسرّ النجاة في الدنيا والآخرة.

ما معنى "الوكالة" في هذا المقام؟

الوكالة في المفهوم الشرعي تعني التفويض، أي أن يُنيب العبد ربَّه في كل أمره، ويُسلِّم له القيادة والتدبير، ويعتمد عليه في جلب النفع ودفع الضر. وقد أثبت الله هذه الصفة لنفسه، فقال: ﴿وَكَفىٰ بِاللَّهِ وَكيلًا﴾
ووكالة الله ليست كتفويض البشر للبشر، بل هي صفة من صفات الكمال الإلهي، يتفضل الله بها على من شاء من عباده، ويُؤجَرُ العَبدُ على اتّكالِهِ على الله إذا اقترن ذلك بالثقة، واليقين، والعمل بالأسباب الشرعية.

سِرُّ تخصيص بني إسرائيل بهذه الوصية

هذه الوصية تحديدًا جاءت في صدر الحديث عن بني إسرائيل لأن مشكلتهم الكبرى عبر التاريخ كانت في توكيل غير الله: توكيل السحرة، الملوك، المال، القوة العسكرية، الأحلاف السياسية، بل حتى أنفسهم، بأن يتولوا التدبير من دون الله، ويضعوا ثقتهم فيما تحت أيديهم من أسباب.

الوكالة هنا ليست جانبًا منفصلًا عن العقيدة، بل هي الوجه العملي للتوحيد. فأن توحّد الله، يعني أنك لا تستند في حياتك ولا في مستقبلك إلا إليه، وأن كل الأسباب المادية لا تملك لك ضرًا ولا نفعًا إلا بإذنه. فلا المال، ولا التحالفات، ولا القوى العظمى، ولا التكنولوجيا، ولا الأسلحة الذكية هي التي تُنجي، بل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. لكن بني إسرائيل قدّموا الأسباب على التوكل، بل استغنوا بها عن الله. لقد ركنوا إلى أدواتهم الأرضية:

- سلطات دنيوية
- عقود وتحالفات
- نفوذ دولي
- نظم مالية وتجارية
- استقواء بالأمم الكبرى

وهذا قد وصفه الله سبحانه بأنه "عُلُوٌّ كبير" لكنهم ظنّوا أن هذ العلو الدنيوي يُغنيهم عن الله، وأنهم يستطيعون حماية أنفسهم ومصالحهم من دون تفويض لله أو خضوع لحكمه. وهنا يأتيهُمُ اللهُ من حيث لم يحتسبوا ويبعث عليهم عبادَهُ أولي البأس الشديد.

وعلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا تنظر بعيدًا عندما تقرأ هذه الآية: "ألا تتخذوا من دوني وكيلًا"، فالأُمَّةُ التي تريد أن تعودَ إلى دورِها الريادي، يجب أن يكون أول إصلاحها هو في جِهة التَوَكُّل: أن تعود إلى الله، تعتمد عليه، وتجعله وكيلها في كل شيء، ثم تمضي في إصلاح الأرض، وهي واثقة أن الله لن يخذل من وكّله واتّكل عليه عن إيمان ويقين.

التحوُّل من السلالة إلى المنهج:

﴿ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلنا مَعَ نُوحٍ﴾

بعد أن أوصى الله بني إسرائيل في الكتاب بألا يتخذوا من دونه وكيلاً، يأتي وصفٌ مفاجئٌ لهم: ﴿ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلنا مَعَ نُوحٍ﴾. في ظاهر الأمر، هذا التعبير يحمِلُ طَابعًا عَامًا، فَكُلُّ البَشَرِ هُم من ذرية من نجوا في سفينة نوح. ولكن السياق هنا خاص، إذ يتحدث الله عن بني إسرائيل تحديدًا، المعروفين بأنهم من ذرية يعقوب عليه السلام (إسرائيل). فلماذا لم يَقُل: "ذرية إسرائيل"؟ ولماذا يعود بهم إلى نوح عليه السلام تحديدًا؟

هذه الإشارة القرآنية البالغة الدقة تفتح بابًا تأمليًا عميقًا حول التحول في بنية جماعة بني إسرائيل من جماعة سلالية إلى جماعة منهجية دينية شاملة. فالمجموعة التي كانت مُنحَصِرَةً في نَسلٍ مُعَيَّن بدأت تفتح أبوابها لِغيرِ أبنائها بالدم، لكن على أساس الانتماء العقائدي والتوجه المنهجي. وهذا ما تؤكده التحولات التاريخية والدينية عند اليهود أنفسهم.

فمِن حيثُ النَّسَبِ الشَرعِيِّ في الشريعة الإسلامية والأنساب القبلية، يُعتَمدُ على الأب في إثبات الانتماء، وهذا كان معهودًا في بني إسرائيل قديمًا. أما في العقيدة اليهودية الحديثة، فقد تمَّ قَلبُ المُعادَلَة: يُعدّ الإنسان يهوديًا إذا كانت أُمُّهُ يهودية، بغض النظر عن نسب الأب. وهذا الانقلاب في معيار النسب يُعد خرقًا واضحًا للسنن النَّسَبيَّة، ويفتح المجال لاختلاط الأنساب بشكل كبير.

وبذلك، يتحول "العرق اليهودي" تدريجيًا إلى كيان مفتوح على كافة الأجناس. يُمكن دخوله بالتبنّي العقدي، أو الانتماء السياسي، أو التهويد الثقافي. وليس فقط بالولادة من صُلبِ يعقوب عليه السلام.

وهذا ما يجعل وصفهم بأنهم "ذرية من حملنا مع نوح" أدقَّ تعبيرٍ يُمكن أن يشملهم جميعًا: الأصلُ البشريُّ العَامّ، لا النَّسَب النبويِّ الخاصّ. ولعل هذا الوصف – الذي يعود بهم إلى نوح عليه السلام – يُلمّح إلى ذوبان الحدود العِرقِية لبني إسرائيل، حتى أصبحوا تَجَمُّعًا بَشَرِيًا غيرَ مُتجانس في أصله، لكنه موحد في فِكرِهِ ومنهجه وأهدافه السياسية والدينية. لذلك فإن الخطاب الإلهي لا يستثنيهم من التوجيه والتحذير والعقاب، وإن لم يكونوا جميعًا من نسل إسرائيل بالدم.

الإفسادُ الأول

والبَعثُ الرَّبَّانِيُّ

...مَشهَدٌ قُرآنيٌّ خَالِد...

حِينَ يَتَجَاوَزُ الطُّغيَانُ حَدَّهُ،

تُفتَح بوَّابة الوَعدِ الإلهيّ

❖ تمهيدُ القَدَر ❖

منذ آلاف السنين، دوّنَ الله في كُتُبِه السابقة، وأعاد تثبيته في آخر كُتُبِه، القُرآنِ الكريم، أن بني إسرائيل ليسوا جماعةً تمُرُّ على الأرض مرور الكرام، بَل كَيَانٌ سيُعرَفُ في الأرض بِفَسَادٍ لا مَثيلَ له، وعُلُوٍّ لا يُقارَن: ﴿وَقَضَينا إِلى بَني إِسرائيلَ فِي الكِتابِ لَتُفسِدُنَّ فِي الأَرضِ مَرَّتَينِ وَلَتَعلُنَّ عُلُوًّا كَبيرًا﴾

كلماتٌ لا تحتمل التأويل:

- **قضينا**: حكم الله وقضاؤه، لا رجعة فيه.
- **لتفسدنّ**: توكيد مضاعف يدل على حتمية الحدث.
- **مرتين**: أي أن هناك فاصلًا زمنيًا واضحًا بين فساديْن، وقد يكون بينهما جولات وتجاذبات، لكن النهاية محسومة.
- **عُلُوًّا كبيرًا**: ليس مجرد فساد، بل علوٌّ فَوقَ بَقيَّةِ الأُمَم في المال، والنفوذ، والإعلام، والدعم الدولي، والخداع السياسي.

((إنها ليست إساءة سلوكية عابرة، بل نظامٌ ممنهجٌ للفساد والإفساد، حتى لَيَبدو أنه لا يُردّ ولا يُهزم))

فكيف سيكون الرَّدّ الإلهيّ؟ .. {بَعَثنَا}

إنَّ اللَّه العلِيم لم يُسكِت هذا الطُغيان، بل جَعَل لهُ مَوعِدًا، وجَعَل لِرَدِّهِ جُنُودًا. لكن الجنود هذه المرة ليسوا من العالَمين، ولا مِن أهل القوّة التقليدية، بل من "عبادٍ لِلّه" لا يُعرفون إلا بهذه الصفة: ﴿فَإِذا جاءَ وَعدُ أُولاهُما بَعَثنا عَلَيكُم عِبادًا لَنا أُولِي بَأْسٍ شَديدٍ﴾.

ولَكَ أن تُمعِن النظر في هذه الكلمة: "بَعَثنا". إنها لا تعني "أرسلنا"، ولا "وَجَّهنَا"، بل "بعثنا".. تمامًا كما يُبعَثُ المَيِّتُ مِن قَبرِه. وذلك لأن هؤلاء العِباد كانوا – في الظاهر – مغلوبين، متروكين، مغمورين، لا يُعوَّل عليهم، ولا تُخشى صَولَتُهُم... فإذا بهم يَنبعِثونَ فَجأة، بِغيرِ مُقدِّمات تَقليدية، ويفاجئون الأرض كلها بوجودهم.

❖ صفاتهم ليست عددية ولا مادية ❖

لم يقل الله تعالى: "بعثنا عليكم دولة عظمى"، أو "جيشًا مدججًا بالسلاح"، أو "قوةً مادية كاسحة"، بل قال: ﴿عبادًا لنا﴾، ثم وصفهم بأنهم: ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

إنها ليست صفات عسكرية ولا اقتصادية، بل صفات إيمانية خالصة. هؤلاء القوم لم يَصنعهم الإعلام، ولا نشأوا في بحبوحة القصور، بل خرجوا من مدرسة الإيمان، وترعرعوا على معاني الصبر والثبات ورفض الذل، ومواجهة الطغيان مهما طال الزمن. لا تحركهم الأطماع، ولا تُغريهم الأموال، ولا تُخدع أبصارهم بالتقنيات الحديثة.

ما يحركهم هو إيمانهم بالله، وثقتهم بوعده، وشرف الانتساب إليه، كما نسب الله سبحانه أنبياءه المخلصين إليه في قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَادَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: 45]

فكما شَرُف الأنبياء بنسبة العبودية إليه، شَرُف هؤلاء المجاهدون بها.

ولِمَ قال ﴿عبادًا﴾ تحديدًا؟

لأنهم لم ينتسبوا إلى قومية ولا عرق ولا طائفة، ولم يتبعوا نظامًا أو حزبًا أو توجهًا أرضيًا، بل أذلّوا أنفسهم لله، فانكسرت نفوسهم بين يديه، فرفعهم وأعزّهم، وجعلهم سيفًا للحق، ونقمة على المفسدين.

ومن اللافت في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أن الله نسب هؤلاء العباد إلى نفسه بهذه الصيغة الفريدة: ﴿عبادًا لنا﴾، وهي صيغة لم تتكرر في موضع آخر من القرآن الكريم. وهذه النسبة الخاصة ليست عبثًا، بل تنطوي على دلالات عميقة؛ فهي تفيد خصوصية واصطفاء، بل وربما تفيد الحصر، مما يعزز القول بأن هؤلاء العباد ليسوا من الكفار كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، ممن قال إنهم قوم بختنصّر الوثني.

وإني لا أنكر أن هذا الموضع من أعقد وأعمق المباحث في تفسير هذه الآيات، بل أدعو من لديه سعة في العلم والبحث أن يُمعن النظر فيه ويتتبّع سياقاته وألفاظه. أما أنا، فقد وصلت إلى هذه القناعة بعد مراجعة جميع المواضع القرآنية التي ورد فيها الحديث عن "العباد" المضافين إلى الله، وتأمّلت في أنماط العبودية التي وردت في كتاب الله، فلم أجد ما يمنع – بل وجدت ما يُرجّح – أن يكون هؤلاء العباد هم من المقتصدين أو السابقين بالخيرات بإذن الله، وهم أحق بإسقاط علو بني إسرائيل من غيرهم، وأولى بشرف نصرة الحق وتطهير الأرض المقدسة.

ومن هنا، يجدر بنا أن نُفرّق بين نوعَي العبودية في المفهوم القرآني:

1. العبودية الإجبارية: وهي العبودية العامة التي تشمل كل مخلوق في هذا الكون، فكلّهم عبيد لله من حيث الخلق والرزق والموت والحياة والمصير. لا يخرج مخلوق عن سلطان الله، ولا يعصي أمره الكونيّ. وقد قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93]
2. العبودية الاختيارية: وهي أرفع المقامات وأجلّها، وتكون لمن اختاروا طاعة الله ومحبة أمره، وانقادوا لشرعه عن رضا وتسليم. وهؤلاء هم الذين خصّهم الله بالتشريف، فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32] ثم قسمهم إلى ثلاث فئات:

- **ظالم لنفسه**
- **مقتصد**
- **سابق بالخيرات بإذن الله، وأكّد أن هذا هو الفضل الكبير، مما يدل على أنهم جميعًا في دائرة الاصطفاء والرضا، وإن تفاوتت منازلهم.**

وهنا يتضح الفرق الجوهري بين من عُبِّدوا لله قهرًا وقَدَرًا، وبين من اختاروا أن يكونوا عبادًا لله طوعًا وسعيًا واحتسابًا.

ولهذا فإن إضافة العبودية إلى الله في صيغة التشريف – كما في قوله: ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ – لا يمكن أن تُفهم على وجه العموم القهري، بل هي دالة على العبودية الخاصة التي تعني الطاعة والمحبة والولاء لله، وهي أعلى مراتب الشرف، كما قال تعالى في وصف نبيه محمد ﷺ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1]

فلم يقل "بنبيّه" أو "برسوله"، بل "بعبده"، لما في هذه النسبة من رفعة ومقام كريم.

ولذلك، فإن هؤلاء العباد الذين بَعثهم الله على بني إسرائيل في وعد أولاهما، يُرجّح أن يكونوا من أوليائه الصالحين، السابقين في ميادين الخير، المخلصين في نصرة دينه، لا من أعدائه الكافرين. وهذا يجعل قراءة هذه الآية أعمق وأشد ارتباطًا بسنة الله في نصرة الحق من خلال أوليائه، لا من خلال أعدائه. كما شَفَى اللَّهُ صُدُورَ خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي بَكْرٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْمُؤْمِنِينَ في قوله: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾

❖ سِرُّ التَوقيت الإلهي ❖

﴿فَإِذا جاءَ وَعدُ أُولاهُما﴾.

كل شيء عند الله بموعد، لا يتقدّم ولا يتأخر. فإذا جاء هذا الموعد، لا يمنع تنفيذه أحد، ولا تقف أمامه قوى الأرض مجتمعة! وهذا الفصل من سورة الإسراء يُعِدُّ الأمة نفسيًا وعقديًا لفهم المعركة على حقيقتها:

- العدُوُّ بلَغَ عُلُوَّهُ وفَسَادهُ الأول.
- والموعد الإلهي للرد قد حان.
- ولن يُبعث لردِّهِ إلا عبادٌ لله، لا يشبهون أحدًا.
- وسلاحهم الأساسي هو البأس الشديد وعبودية الله وحده.

((فهنيئًا لمن أيقن بهذا، واستعَدَّ له، وساهم في إحياء البأس في أُمَّتِه))

جولة الانتصار الأولى...

جَوسُ العِبَاد

(الجَوسُ)

في لحظة فاصلة من تاريخ البشرية، يكشف القرآن مشهدًا مختلفًا عن كل الانتصارات التي نعرفها... مشهدًا لا يُسطَّر بالسيوف الجارفة ولا بالجيوش الجرارة، بل بأقدام خفية تسير على الأرض بعزيمة لا يراها إلا الله، وقلوب تشتعل بإيمان عظيم، وأرواح خرجت من صمت المقهورين إلى فعل المنتصرين.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ هنا لا يُقال "غزوا"، ولا "فتحوا"، ولا "سيطروا"، بل قال: ﴿فَجَاسُوا﴾. كلمة فريدة في القرآن كله، لم تتكرر في غير هذا الموضع، وهذا من بليغ الإعجاز أن يختارها الله بدقة مطلقة.. فما معنى "جاسوا"؟

في لغة العرب: "جاس" المكان: دَخَل وتردَّدَ فِيهِ تفتيشًا واختراقًا وتَهديدًا من الداخل. وتعني أيضًا الذهاب والعودة لطلب هدف محدد. ويبدو أن هؤلاء العِباد لم يكن لهم سُلطان ظاهر، ولكنهم تغلغلوا... كالأشباح النقية، كأنفاس الثورة الأولى، كإرهاصات الزلزال. لم تكن لهم دولة، ولا أسلحة متطورة، ولا دعم عالمي، بل كانوا:

- عبادًا لله
- أولي بأس شديد
- منبعثين بأمر رباني

ودِقَّةُ التَّعبير المتمثِّلة في "خِلالَ الدِّيَار" تعني المرور بين أجزاء الشيء، وكأنهم:

- تسلّلوا من الشقوق
- شقّوا الصفوف المعادية
- أربكوا التحصينات
- فضحوا الغرور

إنهم لم يُقاتلوا العدو وجهًا لوجه فقط، بل أرعبوه من داخِلِه، وأَدخَلوا الرَّهبَة في قلوب من لم يكونوا يظنون أن هناك من سَيجرؤ عليهم، في ديارٍ يعتقدون أنها محصنة، آمنة، مطمئنة، ترصدها الأقمار وتحرسها التحالفات.

✷ طبيعة هذا الانتصار ✷

- لم يكن الانتصار بالجيوش النظامية، ولا بِخِطط الكِبار، بل ببعثٍ من الله لعباد لا يُعرفون إلا بصفة واحدة: ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾
- بأسهم ليس في عُدّتِهم، بل في صَلابتهم، وثَباتهم، ووُضوح وُجهتهم.
- بأسهم ليس في قوتهم الظاهرة، بل في كسر الخوف داخل قلوبهم، وفي بثّ الرعب داخل قلوب عدوهم.
- بأسهم لا يستند إلى مال أو دولة أو حلف، بل إلى التجرد لله وحده.

وفي ختام هذه الآية، يأتي هذا التوقيع الإلهي المُزَلزِل: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾. أي أن هذا الحدث ليس احتمالًا، ولا حُلمًا، ولا رَجَاءً... بل هو وعدٌ قد وَقَع وانتهى، وإن لم يره الناس بعد، فهو جارٍ في توقيت الله لا توقيت البشر. فإذا قال الله إنه وعدٌ مفعول، فهو مفعول في الغيب كما هو في الشهادة، مفعول في السجلات الربانية، قبل أن تراه الأبصار. ومفعولٌ في وقته الذي كتبه الله دون تأخير. إنّ هذا (الجَوسَ) لَم يكُن عبثًا، بل هُو تمهيد لمُعادَلة كُبرى:

- أن لا عُلُوّ يدوم
- وأن الغرور ينهار حين يُبعث الإيمان
- وأن الكثرة لا تحمي الفاسد حين تُبعث عليه قِلَّةٌ مؤمنة

فانتبه أيها القارئ الكريم: هذا الجَوسُ ليس نهاية الصراع، بل بدايته... بداية مرحلة جديدة تُعيد للحق صَوتَه، وللأُمَّة يَقَظَتها، وتُظهِرُ هَيبة الوَعد الإلهي

الكرّة لبني إسرائيل...

والعودَةُ الكُبرى لعِبادِ الله

جولات التاريخ لا تحسمُها القوة، بل الوَعدُ والميزان الإلهي

❖ ما بعد البعث: المسرح لا يُغلق بعد!

رغم الصدمة التي أوقعتها الجولة الأولى من عباد الله في كيان بني إسرائيل، رغم "الجوس" الذي كسر غرورهم، وأربك استقرارهم، وزلزل ما حسبوه حصونًا منيعة...إلاَّ أن المعركة لم تنتهِ. فالنَّصُّ القُرآني يُفاجئنا بجولة مضادة يمنحها الله لبني إسرائيل بعد الهزيمة: ﴿ثُمَّ رَدَدنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيهِم﴾

كرّةٌ، أي عودة هجومية بعد انكسار. ليست فقط استردادًا لما خسروه، بل تقدُّمٌ جديدٌ، مدعوم بقوة ثلاثية رهيبة: ﴿وَأَمدَدناكُم بِأَموالٍ وَبَنينَ وَجَعَلناكُم أَكثَرَ نَفيرًا﴾. إنّها ثُلاثِيَّة الدَّعمِ الربَّانيِّ المؤقت:

- المال: خزائن الأرض تُفتح لهم، حتى صاروا يتحكمون في اقتصاد العالم، ويسيطرون على مراكز النفوذ المالي.
- البنون: ليس المقصود العدد فقط، بل النشء المُعدّ بعقيدة القومية اليهودية، الذي يُربّى على فكرة التفوق العنصري، واسترداد الهيكل، وفرض السيادة العالمية.
- النَّفير: الجاهزية القصوى... عسكرية، سياسية، إعلامية، إلكترونية.

إنّهُ دَعمٌ عالميّ لا تَحظى بِه دَولة أُخرى، واستنفار يشمل حتى الدُّولَ العُظمَى التي تحارب لأجلهم أو بالنيابة عنهم. لكن بني إسرائيل رغم هذه المِنحَةِ العظيمة عادوا للفساد. لم يتّعِظوا، لم يرجِعوا، لم يشكروا، بل عادوا بأسوأ مما كانوا!

وهنا ننتقل إلى الجولة الأخيرة... الوَعدُ الآخِر ﴿فَإِذا جاءَ وَعدُ الآخِرَةِ﴾ تأمَّل عَظَمَة التَّعبير، فلم يقل: "المرة الثانية"، بل قال:"وعد الآخرة". أي المعركة الأخيرة، والمواجهة الحاسمة، والقاضية التي لا كَرّة بعدها. ومَن الذي سيقود هذه الجولة؟ إنهم نفس "العِباد" الذين انبعثوا في الجولة الأولى، لكن هذه المرة: ﴿لِيَسوءوا وُجوهَكُم﴾

- إنها إذلالٌ نفسي قبل أن تكون هزيمةً مادية.
- كَسْرٌ لِهَيبةٍ مَدفُوعة بالغرور العالمي.
- مَسحٌ لكل ما بناه بنو إسرائيل من هيبة وسطوة وعُلُوٍّ.

❖ دُخُول المَسجد... للمرة الثانية ❖

﴿وَلِيَدخُلُوا المَسجِدَ كَما دَخَلوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

ها هي الآية تعود لتذكّرنا بالمحور الأساسي: المسجد الأقصى. فهو مركز الصراع، وهو معيار النصر والهزيمة، ولا تُحسب الكرّات إلا بقياس السيطرة عليه. وكما استرجعه عباد الله مؤقتًا في الجولة الأولى، سيسترجعونه نهائيًا في الجولة الثانية.

❖ النهاية: تتبير الطغيان ❖

﴿وَلِيُتَبِّروا ما عَلَوا تَتبيرًا﴾

أي يدمّروا كل ما بَلَغُوهُ من عُلُوّ، تدميرًا شاملًا، لا رجعة فيه. ولفظ "تتبير" في اللغة يدل على التحطيم الكامل المنهجي، وليس مجرد الهدم العشوائي. وكأن الفساد نفسه يُجتَثُّ من جُذُورِه، وتُطَهِّرَ الأرضَ من هذا العلو المستبد. **فما أجمل هذه اللحظات!**

❖ خلاصة الفصل ❖

- الجولة الثانية لبني إسرائيل هي مِنحَةٌ اختبارية من اللّه سبحانه، وليست دليلًا على الفضل.
- العُلُوُّ الماديُّ ليس دليلًا على النصر الإلهي.
- عِبادُ الله لا يتراجعون أمام العُلُوِّ الثاني، بل يَهجُمُون مَرَّة ثانية، لا بهدوء، بل بقوة أعظم، وإرادة أرسخ.
- المسجد الأقصى هو المفتاح، والمقياس، والمعركة.

التتبير في النهاية تزول معه كل الحواجز، وتنتهي التدخلات، وينطلق عبادُ الله إلى عَدُوِّهِم بِكُلِّ قُوَّة وبَأسٍ وغَضَب. ويَشفِي اللهُ صُدُورَ قَومٍ مُؤمِنين.

المسجد الأقصى

فِي قَلْبِ العُلُوِّ والنِّهَايَةِ

بينما تتصاعد الأحداث في سورة الإسراء، وتُستعرض لنا مشاهد المواجهة بين بني إسرائيل وعباد الله أولي البأس الشديد، يُفاجِئنا النَصُّ القُرآني بحقيقة دقيقة ومربكة للوهلة الأولى: أن هؤلاء العباد، رغم شدّة بأسهم، وصبرهم، وجَلَدِهِم، لا يكتسحون بَنِي إسرائيل تمامًا، بَل يُوقِفُون عُلُوَّهم عِند حَدٍّ، ويَستَخلِصُون منهم شيئًا بالغ القيمة. فما هو هذا الشيء الثمين؟

((إنَّهُ المسجدُ الأقصى))

ذلك المَوضِعُ المُبَارك، الذي بُدئ به سِياق السُّورة، لا يعود ذِكرُهُ عَبَثًا هنا. بل يتصدر مشهد النهاية أيضًا. فتخليص المسجد الأقصى من قبضة بني إسرائيل هو عنوان جولة النصر الأولى التي يُحَقِّقُها عِبَادُ الله المُنبَعِثُون. لكن... النصر لا يكون حاسمًا بعد. ﴿فَإِذا جاءَ وَعدُ الآخِرَةِ لِيَسوءوا وُجوهَكُم وَلِيَدخُلُوا المَسجِدَ كَما دَخَلوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. ففي هذه الآية المفصلية، يكشف الله سبحانه شيئًا في غاية الأهمية:

أن العلو الثاني لبني إسرائيل، وفسادهم الأخير، سيكون مرّة أخرى مقرونًا بالسيطرة على المسجد الأقصى، تمامًا كما حدث في العلو الأول. فهم لا يَعلُون إلا إذا استعادوا قبضتهم على هذا المسجد. هذا الترابُطُ الدقيق بين عُلُوِّهِم وموضع الأقصى هو من عجائب التصوير القرآني.

بل الأعجب من ذلك، أن القرآن يخبرنا بأن عباد الله المنتصرين هم أنفسهم من يدخلون المسجد مرتين:

- في المرة الأولى بعد بَعثِهِم المُفاجئ.
- وفي المرة الثانية بعد تحقُّقِ وُعدِ الآخرة.

وهنا ذَروة الدَّهشَة!

القرآن يخبرنا بأن عباده المنبعثين سيُحرِّرُون المسجد الأقصى في الجولة الأولى. وأنه سيعود إلى قبضة بني إسرائيل بعد الجولة الأولى، وأن هؤلاء العباد سينتزعونه مجددًا في الجولة الثانية. وهذا يُبرِزُ أن معركة المسجد الأقصى هي علامة فارقة في تاريخ بني إسرائيل وصِراعِهِم مَعَ الحَقّ، وأنّ استرجاعَهُ مِنهُم هُو أيقونة الانتصار، وخاتمة الطغيان. وليس هذا الانتصار الثاني كأي انتصار، بل هو وعد الله الأخير: ﴿وَلِيُتَبِّروا ما عَلَوا تَتبيرًا﴾

إنه تحطيم شامل لكل ما بَنَوهُ، وما أقَامُوهُ، ومَا عَلَوا بِهِ، تَدميرٌ لا يَترُكُ لَهُم أثَرًا، وكَأَنَّ الله أَرَادَ أن يجعل النِّهَايَة قاطِعَة لا تتكرر، وأن يُغلِق بذلك سِجِلَّ العُلُوِّ الإسرائيليِّ في الأرض. هذا التصوير القرآني، بهذا الإيجاز المُعجِز، يكشف بوضوحٍ أنّ المسجد الأقصى هو البوصلة التي تُقاس بها قوة بني إسرائيل وضعفهم، وبه يُعلَون، وبه يُكسَرون.

وفي كُلِّ مرَّة، فإن الذي يُعيدُ التَّوازُنَ إلى الأرض، ويكسِرَ الغُرُورَ والطُّغيان، هم عِبَادٌ لله مُنبَعِثُون من حيث لا يُتوقع، لا يملكون إلّا البَأسَ الشَّديد، والإخلاص الفَرِيد.

لكن لماذا المسجد الأقصى؟

ليس ذكرُ المسجد الأقصى عابرًا، ولا توظيفُهُ في النصِّ مُجرَّد توطِئَةٍ للإسراء. بل هو العنوان المحوري للصراع الكوني بين الحق والباطل. **فكلّما علا شأن بني إسرائيل، كانوا فِيه. وكلّما كسَرَهُم عبادُ الله، كان هُو العَلَامَة.**

وعندما نتأمّلُ قوله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَ وَعدُ الآخِرَةِ لِيَسوءوا وُجوهَكُم وَلِيَدخُلُوا المَسجِدَ كَما دَخَلوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ نحصّلُ على أربع تأكيداتِ إلهيّة:

- أن المسجد الأقصى يُنتزع من بني إسرائيل مرَّتين
- وأن العِبَادَ المُنبَعِثين هُم أنفُسهم مَن يدخُلُونه مرَّتين
- وأن سيطرة بني إسرائيل عليه ليست مجرد احتلال، بل هي ذروة العلو الفاسد
- وأن استرداده منهم هو ذروة انتصار الحق على الباطل

لقد كشف القرآن، ببلاغته المبهرة، أن المسجد الأقصى هو مِقياس قوة بني إسرائيل وضعفهم. فإن كانوا فيه فهم في أوج العلو، وإن أُخرِجُوا منه فهم في لحظة الانكسار التي وعدهم الله بها. وهكذا، فإن الصِّراع كُلَّه يتكثَّفُ في هذا الموضع المبارك، وبه تُقاس نتيجة المعركة. إنّ السيطرة عليه هي ذروة عُلُوِّ بني إسرائيل، وكَسرُه هو نهاية فسادِهم الأول والثاني. وما بين الجولة الأولى والثانية، معارك مستمرة، وأجيال متلاحقة، وتربُّصٌ بين الطرفين، لكن الفارِقَ الجَوهَرِيّ هو أن الطَرَفَ المُنتَصِرَ لا يحمِل إلا "البأس الشديد" و"العبودية الصافية لله".

وفي النهاية، يُغلق السياق بأمَلٍ مشرُوط: ﴿عَسى رَبُّكُم أَن يَرحَمَكُم وَإِن عُدتُم عُدنا وَجَعَلنا جَهَنَّمَ لِلكافِرينَ حَصيرًا﴾. الرحمة ممكنة… لكن مشروطة بعدم العودة إلى الفساد. وإن عادوا، فإن الله لهم بالمرصاد، والعاقبة للمتقين.

ماذا تؤكد فواتح سورة الإسراء؟

إذا كانت الآيات قد نفت بعض التفسيرات التاريخية التي لا تنسجم مع سياقها، فإنها في المقابل تُؤكِّد مجموعة من الحقائق العميقة والمترابطة، التي لا يُمكن فَهم مَشهَد المُواجهة الأخير في تاريخ الأمة إلا في ضوئها:

1. عُلُوُّ بني إسرائيل مُرتَبِطٌ ارتباطًا مباشرًا بالمسجد الأقصى.

فسورة الإسراء لا تبدأ بـ"الإسراء" إلا لتدلّ على محور السورة كلّها: المسجد الأقصى. فذكره في افتتاح السورة ليس مجرد إشارة مكانية، بل هو مفتاح للربط بين الماضي والمستقبل. فبَني إسرائيل لا يبلُغون "العُلُوَّ الكَبير" إلا حين تكونُ لهُم اليدُ العُليا على المَسجد الأقصى. والعجيب أن هذا المعنى يتكرّر مرتين: الأولى عند بعث عباد الله عليهم، والثانية في وعد الآخرة، وكلتا الواقِعَتَين مُوجزَتَينِ ببلاغةٍ إلهيةٍ مُعجِزَة في جُزءٍ من آية أخذت مني وقتًا لِأستوعبها ووقتا وكلامًا أطوَلَ لِأشرَحَهَا ﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة﴾. فانتصار العباد عليهم يكون دائمًا مقرونًا بدخول المسجد، لا بغيره. والعُلُوُّ اليَهُودِيُّ والسيطرة الروحية والسياسية مرتبطة ببقعة واحدة: المسجد الأقصى. ومن هنا، فإن أي تحرير له أو سيطرة عليه، هو المؤشر الأكبر على هوية المنتصر في معركة الحق والباطل.

2. بنو إسرائيل وخُصُومُهُم الحَقِيقِيُّون في سجال متصل لا ينتهي إلا بوعد الآخرة.

إنَّ الآيات لا تذكُرُ عَدُوًّا عامًّا لبني إسرائيل، بل تذكُرُ عِبادًا لله يَتَمَيّزون بِصِفَةٍ واحدة فقط: ((البأس الشديد)).

فهُم لَيسُوا جُيُوش دُول، ولا تَحَالُفَاتٍ سياسيّة، بل مجموعة من عباد الله اُختُصُّوا بِهذِهِ السِمَةِ الرَّبَّانِيَّة: البأسُ الصابرُ الصامدُ. ﴿بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد﴾. ثُمَّ بَعدَ ذلك لا يأتي ذِكرُ قَومٍ آخرين، بل هُم أنفُسُهُم من يعودون: ﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة﴾ فالمواجهة مركزة ومقصودة، وليست شاملة أو عامة. إنها سجال إلهي مرسوم بين طرفين لا ثالث لهما:

- طرف طاغٍ فاسد بالغ العلو
- وطرف صادق متجرد بالغ البأس

3. العُلُوَّان متقاربان زمنيًا، والتَّكاثُرُ أحدُ أدوات الصِّرَاع.

لو كان الفسادان متباعدَين جدًا في الزمن، لمَا صَحّ الرَّبطُ بين الإفسادين بنفس الجماعة، ولنُسيَ أثر الفساد الأول. لكنّ الآياتِ تؤكّد أنّ بني إسرائيل أنفسهم الذين أفسدوا أولًا هم الذين سيفسدون ثانيًا. بل إن الله تعالى يربط بين الفسادين بزمن يَسَعُ تكاثُرَهُم وتَنَامي قُوَّتِهِم: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾. فالعُلُوُّ الثاني ليس من نصيب أجيال أخرى مغايرة، بل من نصيب نفس الجماعة بعد أن أُعطيت فرصة لإعادة التكوين والتمدد، لتعود إلى الساحة بمزيد من النفوذ والانتشار. وهذا يُلغِي التفسيرات التي تفترض فجوة زمنية تبتلع قرونًا طويلة أو شعوبًا أو أدياناً جديدة مختلفة مثل بختنصر وقومه أو غيرهم.

4. الإمداد بالبنين دليل على تكاثر سريع له أثر سياسي وأمني واقتصادي.

لفظ "البنين" هُنا ليسَ عَبَثًا، بل هو تصوير قرآني دقيق لأهم أدوات البقاء والاستمرارية لدى بني إسرائيل. فَهُم لا يكتفون بالمال، بل يعتمدون على كثافة الإنجاب والانتشار الديموغرافي لتحقيق النفوذ، وهو ما يشهده العالم المعاصر في دعمهم السياسي والدولي. فالآية توضّح أنّ معركة العُلُوَّ والفساد لا تُخاض فقط بالسلاح، بل بالتخطيط السكاني والاقتصادي والتكاثري.

والكثيرُ مِن المجتمعات تشهد بأم أعينها الظاهرة السكانية اليهودية، القائمة على التعليم العالي، والمال الموجه، والإنجاب المنهجي، وهو ما يؤكد أنهم في طور الاستعداد المستمر لمواجهة عباد الله "أولي البأس الشديد" في الجولة الثانية كما في الأولى.

خُلَاصَة:

هذه الآيات لا تترُكُ للغُموض مَجَالًا. إنها تُؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن:

- المسجد الأقصى هو نقطة الفصل بين العلو اليهودي وزواله.
- العَدوّ الحقيقي لبني إسرائيل هو طائفة عباد مخلصين لله، وليس بالضرورة دولًا أو أحلافًا.
- العُلُوَين اليهوديين متقاربان، ويستندان إلى دعم تكاثري ومالي ظاهر.
- الوعد الإلهي بنهاية الطغيان مُحكَم وثابت، لا رجعة فيه، والعباد المُنبَعِثون هم أداة تنفيذه في الحالتين.

ماذا تنفي هذه الآيات من سورة الإسراء؟

إنّ دِقّة التعبير القُرآني في هذه الآيات، وربط الأحداث ببعضها، وتتابُع الوَعدِ الإلهي المُرتبط بإفساد بني إسرائيل، يقتضي بالضرورة نَفيَ عددٍ من التفسيرات التاريخية الغير دقيقة التي تداولها بعضُ المُفسّرين أو المؤرِّخين، والتي لا تنسجم مع السياق الشامل للسورة. ومن أبرز ما تنفيه هذه الآيات:

1. تنفي فواتح سورة الإسراء أن يكون العُلُوُّ المقصود هو عُلُوُّ داود وسليمان عليهما السلام.

فقد يظُنُّ البعضُ أن ذَروَةَ قُوَّةَ بني إسرائيل قد تحقّقت في عهد نبيّيّ الله داود وسليمان عليهما السلام، اللذان حكما الأرض تحت مظلة النبوة والعدل، وسُخِّرَت لهما الجِنُّ والرِّيح والجِبال، فبلغوا من القوة والتمكين ما لم يبلغه أحد. لكن الآيات هنا تتكلم عن علوٍ مقترن بالفساد: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. وما قامت عليه دولة سليمان وداود عليهما السلام من التوحيد والحُكم بالعدل لا ينسجم أبدًا مع هذا الوصف، لذا فإن العُلُوَّ المذموم هنا لا يمكن أن يُنسبَ إلى زَمنِ الأنبياء الصالحين، بل هو عُلُوٌّ قائم على الطُغيان والانحراف العقدي، والفساد الأخلاقي، والاجتماعي، والسياسي كما يحدث في وقتنا الحالي.

2. تنفي فواتح سورة الإسراء أنَّ العباد الذين بُعثوا لإسقاط بني إسرائيل هم بختنصر أو غيره.

رغم أن بعض التفسيرات التاريخية نسبت الفساد الأول إلى زمن النبي إرميا، وربطت الإفساد الأول بهجوم الملك البابلي بختنصر على أورشليم وهدم الهيكل، إلا أن النص القرآني لا يُشير إلى أحداث منعزلة أو مُنفصلة، بل يربط بين الإفسادين والرد عليهما من خلال نفس الجهة المنتصرة: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِم﴾ وأيضًا: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

فمنطق الآيات يدل بوضوح على أن من دخل المسجد أول مرة، هم أنفسهم من سيدخلونه في المرة الثانية. وإذا ثبت أن المنتصر في المرة الثانية سيكون من عباد الله أولي البأس الشديد، فإن هذا ينسحب على المرة الأولى أيضًا. أما بُختنصَّر، فليس من عباد الله الصالحين الذين يوصفون بالبأس النقي المربوط بالعبودية لله، بل كان طاغيةً وثنيًا. وعليه، فالقول بأنه هو من يُشار إليه في الآيات يتعارض مع الوصف الأخلاقي والرباني لهؤلاء العِباد المَنصوص عليهم في القرآن. كما أن "دخول" المسجد يقتضي بالضرورة الحفاظ عليه وليس هدمه وتدميره كما فعل بختنصّر.

3. تنفي أن يكون الفساد الأول قد انقضى، وأننا الآن في مرحلة تاريخية بعيدة عنه.

فالآيات الكريمة ترسُم خطًّا واضحًا من الفساد الأول إلى الثاني، وتذكُرُ أن بني إسرائيل الذين أفسدوا أولًا هم أنفسهم من سيُفسِدون ثانية. والدليل: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾. فهذا الإمداد يشير إلى فترة زمنية فاصلة تسمح بالنمو والتكاثر، لكن لا تقطع استمرارية السياق. فَبَنُو إسرائيل قومٌ واحدة، بصفات واحدة، يتَكَرَّرُ فِيهم الفساد بسبب نفس المنهج والسلوك، ولذلك فإن القول بانقضاء الفساد الأول في الماضي السحيق وتبدل الجماعة اليهودية تمامًا، لا يتماشى مع منطق الاستمرارية الذي يُصِرّ عليه النص القرآني.

خُلَاصَة:

- علو بني إسرائيل المذموم ليس في زمن داود وسليمان، لأن حكمهما كان قائمًا على النبوة والعدل، وليس على الفساد.
- المنتصر الذي دخل المسجد في المرة الأولى هو نفسه من سيدخله في الثانية، ويجب أن يكون عبدًا صالحًا يدخل المسجد الأقصى ويحافظ عليه.
- الفساد الأول لن ينتهِي تمامًا، بل سيعود ويتكرر بنفس الصفات والسلوك، ضمن نفس الجماعة.
- بعض التفسيرات التاريخية غير دقيقة، ولا تنسجم مع السياق القرآني الدقيق وترابط الأحداث في سورة الإسراء.

لماذا نَهتَمُّ بِتَفسِير هذه الآيات في هذا الوقت بالذات؟

(الدَّافِع، والضَّرُورة، والبُعدُ الحيِّ)

لأننا لا نقرأُ تاريخًا قد مضى، بل نَعيشُ نبوءةً تَتَحقّقُ أمام أعيُنِنَا. ولأن الآياتِ التي نَزَلَت في سورة الإسراء، لم تكُن لِتُتلَى إلا لِتُفهم، ولم تُفصَّل إلا لِتُضيء للأُمَّةِ طَرِيقَهَا في زَمَن الظَّلَام، والحِيرَة، والانكِسار.

لأننا اليوم نشهد أولى بشائر "البعث" القرآني... قومٌ لا يملكون ترسانة حربية، ولا تحالفًا دوليًا، ولا رفاهًا اقتصاديًا، لكنهم يملكون ما لا تملكه جيوش العالم مجتمعة:

((الإيمانُ بالله، والبأسُ الشديد، والإرادةُ التي لا تلين))

إنهم قومٌ انتزعوا الحديد من أعماق البحر، وبنوا من بقايا القنابل سلاحًا يَردَع، ومن تحت ركام البيوت، شقّوا طريق النصر. في وجه تحالُفاتٍ دولية جبّارة، وفي زمنٍ تُمنع فيه المساعدات، وتُخنق فيه الأنفاس، وفي زمن يُؤازَر فيه علوّ بني إسرائيل بأعتى الأنظمة والدول، بَرَزَ عِبَادٌ لله لم يُحسب لهُم حِساب... لِكنَّهُم كُتِبُوا في الكِتاب.

وهنا، يجب أن يتوقّف المؤمن ويتأمل ويقرأ الآيات لا كتاريخٍ محفوظ، بل كـ رسالة موجّهة إليه شخصيًا. أن يدرك أن له دورًا، وموقعًا، وواجبًا، في هذه النبوءة الربانية المتحققة التي لا مجال فيها للتأويل الغامض. إنه الوعدُ الأول ... وبوادر فتح المسجد الأقصى تلوح. فمن أراد أن يكون من جند الله، فليراجع قلبه... ونيّته... واستعداده.

❖ التَّشَابُهُ مع واقِعِنا ❖

لا نَجزِم بإسقاط تفسير الآيات على واقعنا لأجل تحجيم النص القرآني، لكن حين تنظر إلى ما فَعَلَتهُ المُقاومة في غزة في "طوفان الأقصى" ترى صورًا مطابقة لمعنى "بعثنا"

❖ طوفان الأقصى ❖

- عِبادٌ لله أسّسوا حركتهم على أساس هذه العبوديّة والتجأوا إليه وحده وقاوموا كل الإغراءات والتهديدات التي تحاول ثَنيَهُم عن قِتال ومقاومة العُلُوّ الإسرائيلي
- كان هجومهم "انبعاثًا" فاجأ الحلفاء قبل الأعداء
- بأسُهُم شديدٌ لا ترقى لوصفِهِ الكلمات ولا تكفي لسَردِهِ الصفحات، بل هو أشبهُ بالمُعجِزات
- "جاسوا" خلال "الديار" التي تحتلُّها أسرائيل وأخذوا ما خطَّطو له وعادوا بسلام
- فاجأوا دولة الاحتلال التي بَنَت كلَّ منظومتها لمراقبتهم ومحاصرتهم
- انبعثوا من تحت الحصار، وكسروا الأسوار، فجأةً بلا إعلان، ودون دعم خارجي
- واجهوا عدوًّا مدجَّجًا مدعُومًا بأقوى حلفٍ دولي بأسلحة بسيطة صنعوها بأيديهم
- أذهلوا العدو قبل الصديق، وأربكوا حسابات الدول العظمى
- واستَمَرُّوا في المُواجهة رغم المجازر والقصف والتدمير

أليس هذا بعثًا رَبَّانِيًّا؟

أليس هذا هو البأس الشديد الذي لا ينهار تحت الضغط؟ إنها وقائع دامغة لا ينبغي لنا تجاهلها، فتأويل كل الأمور الغيبية التي أخبر عنها القرآن واقعٌ لا محالة. ويجب على المسلمين أن يُنزلوا هذه النصوص منازلها وألّا يُعطِّلوها بالكليَّة بدافع الخوف من الخطأ، خصوصًا متى ما رأوها رَأيَ العَين.

كيف تطابقت أوصاف سورة الإسراء مع هجوم السابع من أكتوبر!

﴿فَإِذا جاءَ وَعدُ أولاهُما بَعَثنا عَلَيكُم عِبادًا لَنا أُولي بَأسٍ شَديدٍ فَجاسوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعدًا مَفعولًا﴾ [الإسراء: 5]

فَإِذا جاءَ وَعدُ أولاهُما

الوعد الأول

في تاريخ الإسلام، لم يقم لليهود قائمة يمكن تسميتها ب"العُلُو" إلا في هذا الزمان. وفي الأمم السابقة، كان عُلُوّ داود وسليمان عليهما السلام إصلاحاً في الأرض وليس فساداً. لذلك نحن نشهد العلو والإفساد الأول لبني إسرائيل

بَعَثنا عَلَيكُم

البعث

البعث هو الحركة المفاجئة من بعد سبات كما يبعث الله الناس يوم القيامة بعد موتهم وبعد مظنّة ألّا يقوموا، وهذا الوصف ينطبق على ما قامت به كتائب القسام مخالفة لكل توقعات الحلفاء قبل الأعداء

عِبادًا لَنا

عِبادًا لَنا

العبودية نوعان: جبرية تشمل كل المخلوقات واختيارية لمن آمنوا بالله وعملوا بأوامره. ونسبة الله هؤلاء العباد إلى نفسه دليل على أنهم آمنوا به وعملوا بأوامره كما فعل الأنبياء الذين نسبهم سبحانه إلى نفسه كقوله (عبدنا).

فَجاسوا خِلالَ الدِّيارِ

الجَوْس

(الجوس) كلمة نادرة في العربية والقرآن وهي تصف فعلاً دقيقًا.. ألا وهو الذهاب والعودة لطلب هدف محدد! أليس هذا ما حدث بالتحديد؟!

أُولي بَأسٍ شَديدٍ

البأس الشديد

البأس القِتالي الذي لم ينكسر رغم انعدام جميع الأسباب الدنيوية بل وتكالب جميع دول العالم بتقنيات ووسائل لم يشهد لها التاريخ مثيلا ورغم تآمر القريب والبعيد عليهم ومع ذلك لم ينكسروا بل وأثخنوا في عدوّهم، لهو بأسٌ شديدُ بحق!

فتح المسجد الأقصى

هذه بشارة من الآية السابعة لكل من تدبّر كلام الله أن النصر قادم على يد هؤلاء العباد وفتح المسجد الأقصى سيكون على أيديهم قريباً نتيجةً للهجوم الذي نفّذوه على دولة الاحتلال.. والله ينفِّذ وعده، أنّه كان مفعولا

البُشرى العظيمة

وَلِيَدخُلُوا المَسجِدَ كَما دَخَلوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّروا ما عَلَوا تَتبيرًا﴾ [الإسراء: 7]



https://x.com/abumohammadaln?s=21
abumohammadalnasser@proton.me
أبو محمد الناصر

مسار الأحداث حسب السرد القصصي لسورة الإسراء



غزّة...

البَأسُ الذي خالَفَ المَوَازين

في بُقعَةٍ صغيرة من الأرض، محاصَرةٍ بحرًا وبرًّا وجوًّا، تقف غزّة كأنها قِطعة من إرادة السماء، تُقاوم بأدواتٍ بسيطة ما عجِزت عنهُ الجُيوش الجرّارة. هناك، في تلك الرقعة التي لا تتجاوز مساحتها 365 كم^2، يتجلّى المعنى الأصيل للبأس الشديد، الذي لا يُقاس بالعَدَد ولا العُدّة، بل بما يغلي في الصدور من إيمان، وما يُصاغ تحت الأنقاض من إرادة لا تُقهر. رُغم أن العالم كُلَّهُ أغلَقَ المَنَافِذ، وَشَدّدَ الرَّقابة، ومنع الدواء قبل السلاح، كانت غزّة تُعيد تعريف المفاهيم:

✦ تَصنيعُ السِّلاح مِن العَدَم ✦

في غياب المصانع والدعم والمواد الخام، استخرج أبناء غزّة الحديد من حطام المنازل والسفن الغارقة، أعادوا تدوير أنابيب المياه، وبقايا الصواريخ التي لم تنفجر، وقوالب الاسمنت والحديد، فحوّلوها إلى صواريخ تطال العمق الإسرائيلي، وأسلحة خفيفة ومتوسطة وصواريخ مضادة، حتى باتت غرفة عملياتها تصنّع تحت الأرض ما لا يُكشف فوقها.

✦ الحِفاظُ على السِّرِّيَّة وسط سماء مُشبَعَةٍ بالأقمار ✦

بينما تحلق الطائرات الاستطلاعية الإسرائيلية على مدار الساعة، مدعومة بأحدث تقنيات التتبع الأمريكية، والأقمار الصناعية الأوروبية، كان المُجاهدون يتنقلون عبر أنفاق الأرض كأنها شرايين مدينة مقاومة سرية، يختفون عن الرادارات، ويُجهضون عمليات الاغتيال المتكررة ويُخطِّطون للخطوة القادمة، ويتقدّمون على الجميع بخطواتٍ كثيرة. لقد تحولت غزّة إلى مدرسة عالمية في فنّ الإخفاء العسكري والميداني، تُعلّم كيف تُصنع التكتيكات في ظلّ الانكشاف المطلق، وتُربك العدو في عقر داره وهو يملك أقوى وأعتى أدوات الحرب والتَجَسُّس.

✦ إفشال إرادة دولية لتصفية المقاومة ✦

في الوقت الذي اجتمعت فيه القوى العظمى، سياسيًا واستخباراتيًا وعسكريًا، لإجهاض المقاومة، واستُخدمت كل أدوات الضغط الإقليمي والدولي، بما فيها تصنيفها "إرهابًا" وملاحقة أنصارها وتجفيف منابع تمويلها، بل ومنع علاجِ جَرحَاها في الخارج... كانت غزة تَقُوم ولا تَقعُد، وتَثبُتُ ولا تَتَقهقَر. لم تُسقِط رايتها، لم تُلقِ سِلاحها، لم تُفاوض على مبادئها، بل واصلت التسلّح والتدريب والتطوير في الظلّ، وأذهلت العالم بقدرتها على الضرب والرد، وتطوير أدواتها رغم الحصار المشدد.

⚔️ وهذا والله بأسٌ شديد ⚔️

- ليس البأسُ في امتلاك القنابل النووية، بل في أن تنهض من تحت الركام، وتصوغ من الأنقاض صاروخًا يقضُّ مضاجع الجبناء. ليس البأسُ في أن تُعلن الحرب، بل في أن تُرغم عدوك أن يشنّها مكرهًا، ثم يُغرق فيها ولا يخرج منها منتصرًا. ليس البأسُ في كثرة العتاد، بل في أن تُحاصَر من البر والبحر والجو، وتُجَوّع، وتُخْذَل، وتُباد البيوت على ساكنيها... ثم لا تنكسر!

- البأسُ أن تَثبُتَ مُقاتلًا في أكناف بيت المقدس، تحت الأرض، فوق الأرض، في السماء... في الميدان، في الإعلام، في الوعي، في القيم. البأسُ أن تُحاصَرَ في شِبر، وتُقاتِلَ كأنّك تملك الأرض كلها. البأسُ أن تُسْحَقَ مدنيتك ويُقصف أطفالك... ثم ترفع بندقيتك في وجه العالم كلّه!

وهكذا... فإن ما تقومُ بِهِ غَزَّة ليس مجرد مقاومة، بل هو ترجمة واقعية معاصرة لمفهوم "البأس الشديد" الذي ذكره الله في سورة الإسراء، حين قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾. فَغَزَّةُ ليست فقط موقعًا جغرافيًا، بل ظاهرةٌ إيمانيةٌ عالميةٌ... تختصر في صمودها معاني البعث، وفي صبرها أعماق التاريخ، وفي سلاحها البسيط قوة الموقف، وفي تضحيتها الكاملة سِرّ بقاء الأمة.

طوفان الأقصى... تَجَلٍّ للبعث القُرآني

إن ما شهده العالم في معركة "طوفان الأقصى" لم يكن مجرد جولة قتالية، ولا ردّ فعل مؤقت على اعتداء هنا أو هناك، بل كان حدثًا استثنائيًا يُجسد بعثًا قرآنيًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لقد ظهر الحدث فجأة، على غير توقّع، وبلحظة باغت فيها المَظلومُ ظَالِمَه، والمُحَاصَرُ مُحاصِرَه، في مَشهدٍ يُجسّد صورة الانبعاث التي أخبر الله بها في سورة الإسراء: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾

نعم، لقد جَاسَ المُجاهدون في طُوفان الأقصى خلال ديار بني إسرائيل، بمعناه السياسي والأمني والعسكري... ديارٌ يحيطها السلك والأسوارُ العالية، وتحرُسُها الأقمار، وتتغذى على المخابرات العالمية، فإذا بها تُخترق بأيدي من لا يملكون إلا الإيمان والبأسَ واليقينَ بِوَعدِ الله. بل إنّ العُلُوَّ الذي بلغته إسرائيل اليوم، لم تبلغه أُمَّةٌ من الأمم من قبل:

- سيطرة اقتصادية عالمية
- دعم سياسي مطلق
- تفوق عسكري ساحق
- احتضان استخباراتي من الغرب كُلِّه
- تحصين إعلامي وثقافي وتاريخيّ، حتى بات من المُسلَّمَاتِ الدَّولية "حِماية إسرائيل" قبل أي شيء

ومن شواهد هذا العُلُوّ التي لا يختلف عليها أحد، أن القُوى العُظمى المتصارعة على كل شيء: الأرض، المال، الغاز، النفوذ، الثروات... تتقاطع جميعها حين يتعلق الأمر بإسرائيل، فتصمت، أو تُذعِن، أو تَتَحالف. ألم تستغربوا كيف تتقاتل أمريكا وروسيا على كل شيئ، لكنهم يتسابقون على دعم إسرائيل؟ أليست الصين تتمرد على هيمنة أمريكا في كل المجالات لكنها لا تعترض المشروع الإسرائيلي رغم أنه نقطة ضعف لأمريكا؟

لا أحد اليوم يجرؤ على المساس بمصالح الكيان المحتل، ولا حتى توجيهِ لومٍ عَلَنيٍّ لحُرُوبه أو جرائِمِه. أليس هذا هو العلو الكبير الذي أخبر الله عنه: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

ومع هذا كله، جاء "طوفان الأقصى" ليقول إن هذا العُلُوَّ ليس أَبَدِيًّا، وإن البَأسَ لا يُقاسُ بالدبابات والطائرات، بل بِصَبرِ الرجال، ونَقَاء النَّوايا، وصِدق التوكل.

لقد انكسر حاجز الخوف، وانكشف الغرور، وتبدّد وهم العِصمة المُطلَقَةِ لإسرائيل. وكأن طوفان الأقصى يُنذِرُ بقُربِ الموعد، ويبشّر أن الجولة الكبرى قادِمة،

وأن العبيد الذين بعَثَهُم الله.. على وشك دخول المسجد الأقصى.

أستودِعُ الله مسجدنا الأقصى

وأهلَنَا في غزَّةَ المُجاهِدةِ الصَّابِرَة

وأرجو من الله بهذا العمل البسيط

أن يكتُبني مِن عبادِهِ المُنبَعِثِين...
أُولِي البَأسِ الشَّدِيد،
المتوكلين على الله،
المنتظرين لوعد الآخرة،

✍🏻 أبو محمّد الناصِر

كَتَبَهُ في عشر ذي الحِجّة 1446📍

ونحن على أعتاب فتح المسجد الأقصى بإذن الله

https://x.com/abumohammadaln

abumohammadalnasser@proton.me

انتهى

